ثنائية المرسل والمتلقي مقاربة في ضوء مرجعيات نظرية التلقي

**أ.م.د. هاتف بريهي شياع**

**الكلية التربوية المفتوحة في محافظة القادسية**

**الخلاصة:**

تتجسد كل عملية ابداعية من ثلاثة اركان ، هي : المرسل (المبدع ، المنتج ، الباث ) ، والنص ، والمتلقي ( المرسل اليه ، المستقبل )

وهذه الاركان ملتحم بعضها ببعض ، ويأخذ بعضها برقاب بعض . بيد ان هناك علاقة تبادل بين المرسل والمتلقي ، من خلال النص . وبما ان النص نشاط لغوي ابداعي ، واثر فكري متميز ، فلا بد له من الاعتمال في ذات المبدع وضميره ، ليخرجه اثراً فكريا ، يبثه الى المتلقي ليكون شريكا له فيه ، فهو اي ( النص ) بمثابة قناة محملة برسالة ، تصل المرسل بالمرسل اليه ، تضمن الاتصال ، يقوم المرسِل بعملية التركيب بينما يقوم المرسل اليه بعملية التفكيك [[1]](#endnote-2) . والرسالة تَشَكّلٌ علامي قبل كل شئ وما دلالتها المعنوية سوى اهتداء المرسَل اليه الى تفكيكها حسب نفس السنن التي انتظمت بموجبها [[2]](#endnote-3) .

فاتحاد الكاتب والقارئ ، هو الذي يمنح الحياة للنص ، بما هو موضوع واقعي ومتخَيل انتجه العقل . من ذلك يرى سارتر ان (( تعاون المؤلف والقارئ في مجهودهما هو الذي يخرج الى الوجود هذا الاثر الفكري ، وهو النتاج الادبي المحسوس الخيالي في وقت معاً ، فلا وجود للفن الا بوساطة الاخرين ومن اجلهم )) [[3]](#endnote-4) . وذكر د . محمد عبد المطلب ان رولان بارت قد بالغ في هذا التعاون ، حتى ساوى بين المبدع والمتلقي ، بل انه وحّد بينهما ، حتى قال بوجود (( الكتابة القارئة )) فالنص يتكلم كما يريد القارئ ، بل ان قيمة النص تتمثل فيما يتيحه للقارئ من محاولة كتابته مرة اخرى ، وذلك لان القارئ لم يعد مجرد مستقبل او متلق فقط ، وانما تتمثل القيمة الحقيقة في العمل الابداعي من خلال المشاركة بين المبدع والمتلقي في لحظة توحد وجودي [[4]](#endnote-5). في حين نجد ان ( بارت ) ذهب في ( هسهسة اللغة ) الى ( موت المؤلف ) قائلا : ان اللغة هي التي تتكلم ، وليس المؤلف ، فشعرية مالارميه جميعاً ، انما تقوم على حذف المؤلف لمصلحة الكتابة ، ويكون هذا بإعطاء القارئ مكان المؤلف ، ولكي تسترد الكتابة مستقبلها ، يجب قلب الاسطورة ، فموت الكاتب هو الثمن الذي تتطلبه ولادة القارئ[[5]](#endnote-6) ويرى آخرون ، انّ ما يدعو الى الدهشة ، ان مفهومي ( الانتاج ) و ( التلقي ) كانا في ـ لحظة معينة ـ يظهران بمظهر ( الاخوين العدوين ) ، من خلال ما دار من جدل حول نقد الايدلوجيات ، واحتدام النقاش حول مسألة تنازع التأويلات ، و كان الغرض ، هو معرفة ما اذا كان الانتاج بصفته عاملا حاسما في كل ممارسة اجتماعية ، عاملا ايضا يحدد مجموع النشاط الجمالي ، او كان التلقي ، رغم تبعيته للانتاج ، لا يمثل شرطا اوليا يتوقف عليه فهم النص الادبي .

ومن اجل التحقق من بطلان هذا السجال حول اسبقية وجهة النظر المادية او وجهة النظر المثالية ـ لان جمالية الانتاج وجمالية التلقي مترابطتان بطبيعة الحال ـ كان يكفي الاحتكام الى سلطة لا يمكن ابداً اتهامها بالمثالية ، ففي عام 1857 صادر ( كارل ماركس ) في معرض وصفه الجدلي لسيرورة رواج السلع ، على ان كل انتاج يستجيب للتلقي ، مثلما ان لكل استهلاك جانبه الانتاجي ، مستشهدا بمثال الممارسة الجمالية بالضبط ، ليوضح هذه العلاقة الجدلية ، حيث قال : ان الموضوع الفني يخلق جمهورا للفن ومنتجاته ، اي ذاتا للموضوع ، وبنفس الكيفية ، يحدد الاستهلاك تدابير المنتج ما دام انه يتطلب ذاك بواسطة حاجة تعّين له غاياته[[6]](#endnote-7) . في حين ان هناك حوارا وتفاعلا بين ( المنتج والمتلقي ) ، وانصهاراً لتجربتيهما ، يفضي الى ناتج جديد ، نتيجة لاحكام المتلقي ، التي تعد بمثابة ردود افعال ظهرت مع التقائه بالنص ، وان ما حواه النص من منبهات ، هي بمثابة وخزات تثير في هذا المتلقي أحكاما لاشك انها ذاتية ، ولكن عند ربطها بمسببها ، وهو النص ، تأخذ مسحة موضوعية ، وذلك من خلال قاعدة التأثير والتأثر[[7]](#endnote-8) . فعندما يتخلق النص في رحم مبدعه ، افكارا ، ومفاهيم ،وروئ ، يشاركه المتلقي في عملية المخاض الصعبة ، لحظة ولادة العمل الابداعي ( النص ) ، وهنا تلتقي معاناة المنتج والمتلقي معاً ، في ثنائية ، تستلزم التشارك والتفاعل والتوحد ، لتتناسل وتتوالد في عملية تمثيل خلّاقه ، يبدو فيها النص متكلما كما يريد المتلقي بما يضيفه ويضفيه عليه من روحه وفكره وخزينه المعرفي .

1. ـ ينظر الاسلوبية والاسلوب : 133 [↑](#endnote-ref-2)
2. ـ نفسه : 134 [↑](#endnote-ref-3)
3. ـ ما الادب : 49 [↑](#endnote-ref-4)
4. ـ ينظر البلاغة والاسلوبية : 172 [↑](#endnote-ref-5)
5. ـ ينظر هسهسة اللغة : 77 ، 83 [↑](#endnote-ref-6)
6. ـ ينظر جمالية التلقي من اجل تأويل جديد للنص الادبي : 85 [↑](#endnote-ref-7)
7. ـ ينظر البلاغة والاسلوبية : 173 [↑](#endnote-ref-8)